رويّ الهاء

الدهر لفظ أنت معناه

وأراد أبو العشائر سفراً فقال يودعه :

[المنسرح]

أَلنَّاسُ مَا لَمْ يَرَوْكَ أَشْبَاهُ
وَالدَّهْرُ لَفْظٌ وَأَنْتَ مَعْنَاهُ[١]
وَالْجُودُ عَيْنٌ وَأَنْتَ نَاظِرُهَا
وَالْبَأْسُ بَاعٌ وَأَنْتَ يُمْنَاهُ[٢]
أَفْدِي الَّذِي كُلُّ مَأزِقٍ حَرِجٍ
أَغْبَرَ فُرْسَانُهُ تَحَامَاهُ[٣]

---

(١) ورد البيتان الأولان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٧. يبدأ الشاعر قصيدته المدحية، فالناس يتشابهون في كلّ شيء، في أخلاقهم وعاداتهم وميولهم واستعداداتهم، لكنهم إذا رأوا الممدوح تغيّرت آراؤهم لأنه رديف الدهر وعنوانه الذي يستشف منه طالع مصائرهم، فبه الدهر تنفذ إرادته فرحاً وسروراً أو تنكيداً وألماً.

(٢) ناظر العين: إنسانها. البأس: الشجاعة. الباع: قدر مدّ اليد. يُشيد الشاعر بممدوحه، إنه الجود بعينه لأنه به يرى حاجات الناس فيسلّط أضواءه على المعوزين منهم والأولياء التابعين للأمير، وكما أن الناس بمثابة الباع الذي لا قدرة له إلّا باليد التي تترجم القوّة والكرم فتجعلهما حقيقة تسطع آلاؤها في حياة البشر.

(٣) المأزق: الضيق. الحرج: الضيق. أغبر: كثير الغبار. يُعلن الشاعر عن استعداده للتضحية بنفسه لأجل الحفاظ على من يرهبه الأبطال ويخافون جولته لشجاعته وحسن بلائه في الحروب عندما يلتقي الفرسان وقد تعالت الأغبار سادّة الرؤية عن المتقاتلين.

أَعْلَى قَنَاةِ الْحُسَيْنِ أَوْسَطُهَا
فِيهِ وَأَعْلَى الْكَمِيِّ رِجْلَاهُ(١)
تُنْشِدُ أَثْوَابُنَا مَدَائِحَهُ
بِأَلْسُنٍ مَا لَهُنَّ أَفْوَاهُ(٢)
إِذَا مَرَرْنَا عَلَى ٱلْأَصَمِّ بِهَا
أَغْنَتْهُ عَنْ مِسْمَعَيْهِ عَيْنَاهُ(٣)
سُبْحَانَ مَنْ خَارَ لِلْكَوَاكِبِ بِالْـ
ـبُعْدِ ولَوْ نِلْنَ كُنَّ جَدْواهُ(٤)
لَوْ كَانَ ضَوْءُ الشُّمُوسِ فِي يَدِهِ
لَصَاعَهُ جُودُهُ وَأَفْنَاهُ(٥)
يَا رَاحِلاً كُلُّ مَنْ يُوَدِّعُهُ
مُوَدِّعٌ دِينَهُ وَدُنْيَاهُ(٦)

(١) الكمي: البطل المدجج بالسلاح. يُردف الشاعر مديحه أنه على استعداد ليفدي بنفسه الذي يخوض غمار الحروب وبيده رمحه، فإذا به بسرعة البرق قد مزّق أحشاء عدوّه البطل الشاكي السلاح، فلم يمنع ما عليه من سلاح من أن يلاقي حتفه، فإذا به قد وقع أرضاً يشغب دماً، وقد ارتفعت مؤذنة بموته.

(٢) و (٣) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٧. يفخر الشاعر بما يناله من الأمير، فخلعه يزهو بها ويتيه على سواه من المستفيدين من جوده، فإذا بها تدلّ على كرم الممدوح بغير لسان؛ إنها بمثابة قصيدة جعلت الأصم الذي لا يسمع يُغني مادحاً الأمير بعينه، معجباً بصنيعه.

(٤) خار: اختار. نلن: حصلن. الجدوى: العطية. يعجب الشاعر لإفراط الممدوح بالجود، ولولا أن اللّه سبحانه وتعالى جعل الكواكب في سمائها تسبح لفرّقها الأمير بين الناس ولشملتهم عطاياه.

(٥) صاعه: فرقه. يردف الشاعر منوّهاً بجود الأمير الذي لا حدود له، فلو أن ضوء الشموس بيديه لفرّط به ووزّعه بين البشر فأفناه لأنهم سوف يتخطّفونه، كلّ لنفسه.

(٦) ورد البيتان الأخيران في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٠٧. يجعل الشاعر الأمير رمزاً للدين، فحمايته وحماية من يدينون به من مهماته وواجباته، فمن خلع طاعته فقد =

إنْ كَـــانَ فِـــي مَـــا نَـــرَاهُ مِـــنْ كَـــرَمٍ
فِـــيـــكَ مَـــزِيـــدٌ فَـــزَادَكَ الـــلَّـــهُ[١]

أمواه الحديد

وقال قوم: لم يكنك يا أبا العشائر، فقال:

[المنسرح]

قَـالُـوا أَلَـمْ تَـكْـنِـهِ؟ فَـقُـلْـتُ لَـهُـمْ
ذٰلِـــكَ عِـــيٌّ إِذَا وَصَـــفْـــنَـــاهُ[٢]
لَا يَـتَـوَقَّـى أَبُـو الْـعَـشَـائِـرِ مِـنْ
لَـبْـسِ مَـعَـانِـي الْـوَرَى بِـمَـعْـنَـاهُ[٣]
أَفْـرَسُ مَـنْ تَـسْـبَـحُ الْـجِـيَـادُ بِـهِ
وَلَـيْـسَ إِلَّا الْـحَـدِيـدَ أَمْـوَاهُ[٤]

= برئ من الدين، فالدنيا لا تقوم إلّا بالملك وهو الملك، فعلى الناس الطاعة لينعموا بعدله ورعايته.

(١) يُخاطب الشاعر الأمير، إنه غاية في الكرم لا مزيد بعدها، فكرمه فاق سائر البشر، وإن كان مزيد كرم فليكن كرم اللّه تعالى يفيض عليه من نعمه.

(٢) كناه: دعاه بكنيته. العي: العجز عن النطق. التكنية إحدى مظاهر الاحترام في المصطلح العربي. فثمة من سأل الشاعر حاضًّا له على تكنية الممدوح بكنيته، فيردّ الشاعر أن في صفاته الرفيعة ما يغني عن الكنية لأنها محصورة بإحدى صفاته، وصفاته عديدة، كلّ ما فيها ينمّ عن علوّ شأنه، ففي ذلك إجحاف بالممدوح.

(٣) اللبْس: الاشتباه في الأمور. الورى: الخلق. يرى الشاعر أن البشر يشتركون بصفاتهم على أقدار متفاوتة رغم تقاربها، بينما يُشارك الأمير سواه في المصطلحات ويختلف بمدلولاتها، لأنها اكتملت فيه وبه قامت ولذا لا يتوقّى المقارنة بينه وبين سواه من الخلق، لأنه فوق المقارنة بمدلولها الحسيّ.

(٤) الجياد: الخيول. تسبح الجياد: تعدو مسرعة كأنها تسبح. يمدح الشاعر الأمير، إنه أعلى الفرسان كعباً في فنون الفروسية، وهو بطل يجعل الجياد كأنها تسبح عندما يمتطيها في ميدان المعركة، وقد تسربل بالحديد، فإذا به كأنه في بحر متلاطم الأمواج، وهو ينساب بين أعدائه كالماء سلاسة وسرعة.